﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝٩٥﴾ [طه: 95]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد اعتذارِ القومِ وعتابِ الخليفة فيهم، الشُّروعُ بحساب رأسِ الفتنةِ

بعد أن حكى النَّظمُ الجليل اعتذارَ هارونَ عليه السلام وسماعَ موسى له موضِّحًا حكمتَه ببقائه دون مقاتلتِهم والغلظةِ عليهم؛ بيَّن النَّظمُ في هذه الآية أنَّ موسى عليه السلام اتَّجه بغضبِه إلى السّامريِّ، الذي هو رأسُ الفتنة ومدبِّرُها، فأخذ يزجرُه، ويوبِّخُه، فقال: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خَطْبُكَ﴾: (خطب) أصله الكَلامُ بَيْنَ اثْنَيْن، يُقالُ: خاطَبَهُ يخاطِبُهُ خِطابًا، والخُطْبَةُ: الكَلامُ المَخْطوبُ بِهِ، والخَطْبُ: الأمرُ يَقَعُ؛ وإنَّما سُمّيَ بِذَلِكَ لِما يَقَعُ فيه مِنَ التَّخاطُبِ والمُراجَعَة[2]، والخطبُ: سببُ الأمر، تقول: ما خَطْبُكَ؟[3] ويتخصّص بالأمر العظيم الذي يكثرُ فيه التَّخاطُبُ، قال تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾[4]، وجعله ابنُ منظور عامًّا؛ صَغُر الأمر أو عَظُم.

والخَطْبُ: الأمرُ الَّذي تَقَع فيه المخاطَبةُ، والشأْنُ والحالُ؛ ومِنْهُ قَوْلُهُم: جَلَّ الخَطْبُ، أي: عَظُم الأمرُ والشَّأْن، وفي التَّنْزيلِ العَزيزِ: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٧﴾ [الحجر: 57]؟ وجَمعُهُ خُطوبٌ[5]، وهو أمرٌ طارئٌ يتطلَّب التفاتًا خاصًّا، بأن يجمعَ الذِّهنَ والهمَّةَ في مواجهته[6].

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 143.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خطب).
(3) الجوهري، الصحاح: (خطب).
(4) الرّاغب، المفردات: (خطب).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (خطب).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خطب).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الشُّروعُ بمساءلةِ زعيمِ الضَّلالةِ عن شأنِه وجرمِه ومحاكمتِه

يخبرُ النَّظمُ الكريمُ أنَّ موسى ﷺ اتَّجه إلى السّامريِّ يسألُه عن جُرمِه الفاحشِ، وما جاء به منَ الأمرِ العظيمِ، فقال: فما شأنُك يا سامريّ؟ وما الذي دعاك إلى ما فعلْتَه منَ الضَّلال[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نُكتةُ فصلِ الآيةِ عن سابقتِها:

استئنافُ التَّحرّي عنِ المسبِّبِ الأوَّلِ

فصلَ النَّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾؛ لأنَّها مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ لأنَّها سيقت مساقَ الجواب عن سؤالٍ "نشأ من حكاية ما سلفَ من اعتذارِ القوم بإسنادِ الفساد إلى السّامريّ واعتذارِ هارونَ ﷺ، كأنَّه قيل: فماذا صنع موسى ﷺ بعد سماعِ ما حُكيَ منَ الاعتذارَين واستقرارِ أصلِ الفتنةِ على السّامريّ؟ فقيل: قال موبِّخًا له: إذا كان الأمرُ هذا؛ ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾"[2]، وتحوُّلُ خطابِ موسى ﷺ إلى السّامريّ يَنطوي على معنَى تصديقِه هارونَ، واستجابتِه له بكفِّ يديه عن لحيته ورأسِه، وتحوُّلِه منَ الاشتداد عليه إلى التّرفُّق به، ثمّ تحوَّلَ غضبُه واشتدادُه إلى السّامريِّ، فقال: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾؟.

معنَى الفاءِ في ﴿فَمَا﴾:

سؤالُ موسى للسّامريِّ مُتسبِّبٌ عن بيانِ القومِ وهارونَ

بعد أنِ استأنف النَّظمُ الجليلُ بتوجيه الخطابِ إلى السّامريِّ في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ جاء بالفاء الدّالَّةِ على السَّببيَّة؛ لأنَّ موسى ﷺ جعل ما نُسبِ إلى السّامريِّ سببًا في سؤاله عمّا حملَه على صنيعِه ذلك[3]، فتصديرُ السُّؤال بالفاء يدلُّ على أنَّه مترتِّبٌ على ما سبقَ من سؤالِ موسى للقوم ولأخيه هارونَ،

(1) جماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 318.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 561.
(3) الخطيب، السراج المنير: 2/ 481.

وكان جوابُهم يدلُّ على جلالة الخطْبِ[1]، فترتَّبَ على ذلك سؤالُ السّامريِّ عن هذا الخَطْب الجللِ، وفي الفاء دلالةُ حرصِ موسى على أمر الدّين الإسلاميّ الحنيفِ، والاحتياطِ له، والدّفاعِ عنه، والاهتمامِ بشأنه، وما جرَى في هذا الطّريق مِنَ المعنى؛ لأنَّها تخلو مِن معنى التّعقيب والسّرعةِ.

بلاغةُ الاستفهامِ ونوعُه وغرضُه:

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بالاستفهامِ الحقيقيِّ في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ للبحث عن غرضِ هارونَ وبيانِ المصيبة التي أتى بها، أي: ما شأنُك، وما الأمرُ العظيمُ الذي صدرَ عنك؟ فالاستفهامُ جيء به للسُّؤال عنِ السَّبب الباعثِ على ذلك الأمرِ، وإنَّما سأله بذلك أمامَ النّاس ليُظهِرَ لهم ضلالَه وبُطلانَ كيدِه باعترافه[2]، وليبيِّنَ للنّاس أنَّ ما جاء به محضُ افتراءٍ وكذبٍ، ومِن شأن الأمرِ الخطْبِ أن يُسْتَفْهَم عنه.

سـؤالُ رأسِ الباطلِ يكشفُ حقيقتَه وضلالَه على مشهدٍ منَ الملأ

سرُّ إيثارِ لفظِ الخطْبِ دونَ الشأن:

أوثرَ لفظُ ﴿خَطْبُكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ دون قوله: (شأنك)؛ لأنَّ الخطبَ أكثرُ ما يُستعمل في المكاره والنّوائب، في حين يُستعملُ لفظُ الشّأن في المحامد؛ فناسب لفظُ (الخطب) شنيع فعلِ السّامريِّ وقبيحَ صُنعِه[3].

يُستعمَلُ الخطْبُ في المكاره، ويُستعمل الشّأنُ في المحامد

غرضُ النِّداء بـ (يا):

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بحرف النِّداء الدّالِّ على التَّنبيه والبُعدِ في قوله تعالى: ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ مع أنَّ السّامريَّ قريبٌ بقرينة المخاطَبةِ؛ وذلك لبيانِ بُعدِه عنِ الحقِّ بحيث صارَ لا بدَّ أن يُنادَى لينتبهَ إلى الخطاب، كما أنَّ النِّداء بعد الاستفهامِ تأكيدٌ للمقصود بالخطاب، فالسُّؤالُ

بُعدُ الكافرِ عنِ الإيمان حتّى نودي لبُعدِه

(1) الطّيبي، فتوح الغيب: 10/ 231.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 561 - 562.
(3) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 2/ 329.

مرادٌ به أنت لا أحدٌ غيرُك، فيكون المخاطَبُ مضطرًّا للإجابة لتعيينِه بالسُّؤال، كما أنَّ ذلك يشيرُ إلى تفرُّغ المتكلِّم من مخاطبةِ الآخرين والانصرافِ إليه، دليلًا على أهميَّة الخطابِ، وتنبيهًا للسّامريِّ على أهميَّة هذا السُّؤالِ وضرورةِ الإجابة عنه بصدقٍ؛ لأنَّ السّائل مُتفرِّغٌ لبيان الحقيقةِ، ولا يصرفُه عن ذلك صارفٌ.

فائدةُ التَّصريحِ باسمِ السّامريِّ:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ مخاطبةَ السّامريِّ باسمِه في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾؛ لجعل الخطابِ بلا غلظةٍ؛ "ولعلَّ موسى لم يغلظْ له القولَ، كما أغلظ لهارونَ؛ لأنَّه كان جاهلًا بالدّين، فلم يكن في ضلالِه عجبٌ، ولعلَّ هذا يؤيِّدُ ما قيل: إنَّ السّامريَّ لم يكن من بني إسرائيلَ، ولكنَّه كان منَ القبطِ أو من كرمان، فاندسَّ في بني إسرائيل، ولمّا كان موسى مبعوثًا لبني إسرائيل خاصّةً ولفرعونَ وملئِه لأجل إطلاقِ بني إسرائيلَ؛ كان اتِّباعُ غيرِ الإسرائيليين لشريعة موسى أمرًا غيرَ واجب على غير الإسرائيليين، ولكنّه مرغَّبٌ فيه لِما فيه منَ الاهتداء، فلذلك لم يعنِّفه موسى؛ لأنَّ الأجدرَ بالتّعنيف همُ القومُ الذين عاهدوا اللّه على الشّريعةِ"[1]، وهذا مبنيٌّ على أنَّ مقصدَ السّورةِ الإعلامُ بإمهال المدعوّين، والحِلْم عنهم، والترفُّقِ بهم[2]، كما أنَّ مخاطبتَه باسمِه تدلُّ على تعْيينِه بالسُّؤال لبيانِ وجوبِ المجيءِ بجوابٍ مبينٍ.

إيـــرادُ الاسـمِ يُـراعـي حـالَ جهالةِ المخاطَبِ، ويـدفـعُ وحشةَ السُّؤالِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخطْب والشَّأن:

الخَطْبُ الأمرُ يَقَعُ؛ وإنَّما سُمّيَ بِذَلِكَ لِما يَقَعُ فيه مِنَ التَّخاطُبِ والمُراجَعَةِ[3]، وهو الأمرُ العظيمُ الذي يكثرُ فيه التَّخاطُب، قال

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 294.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 5/ 3.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خطب).

الخطبُ والشَّأنُ يدلّان على عِظمِ الأمرِ، والخطبُ مختصٌّ بما يحوجُ إلى التَّخاطُبِ

تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَسَٰمِرِيُّ﴾[1]، وهو أمرٌ طارئٌ يتطلَّبُ التفاتًا خاصًّا، بأن يجمعَ الذِّهن والهمَّةَ في مواجهته[2]، أمّا الشَّأن؛ فأصلُه يَدُلُّ على ابْتِغاءٍ وطَلَبٍ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُم: ما هَذا مِنْ شَأْني، أيْ: ما هَذا مِنْ مَطْلَبي والَّذي أبْتَغيه[3]، والشَّأْنُ: الخَطْبُ والأمرُ، والحالُ الَّذي يشينُ، ويصلحُ، ولا يُقالُ إلّا فيما يَعْظمُ مِن الأحْوالِ والأُمورِ[4]، فكلاهما يدلُّ على الأمرِ العظيم، ولكنَّ الخطبَ يختصُّ بما يقع فيه من تخاطُبٍ، وعليه فإنَّ الخطْبَ ليس عظيمًا لذاته، بل لِما يقعُ فيه من اختلافٍ وإشكالٍ يُحْوِجُ إلى التَّخاطبِ، فالخطْب أخصُّ من الشَّأن، وفي ذلك يقول ابنُ عطيَّةَ: "ما خطبك؟ كما تقول ما شأنك؟ وما أمرك؟ لكنَّ لفظةَ الخطْب تقتضي انتهارًا؛ لأنَّ الخطْبَ مستعملٌ في المكاره، فكأنَّه قال: ما نَحسُك؟ وما شُؤمُك؟ وما هذا الخطْبُ الذي جاء من قِبَلِك؟"[5]، فاستعملَ في الآية لفظَ الخطب لِما في السّياق من دلالةٍ على التَّوبيخ واستعظامِ أمرِ السّامريِّ، ولأنَّه تضمَّنَ التَّخاطُبَ والسُّؤالَ والجوابَ.

(1) الرّاغب، المفردات: (خطب).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خطب).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شأن).
(4) الزّبيدي، تاج العروس: (شأن).
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 61.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»